الترغيب فى مكارم الأخلاق

تحقيق

الشيخ / بكر محمد إبراهيم

دار صلاح الدين للتراث

٧ ش السيد الدواخلى أما جامعة الأزهر - القاهرة

ت : ٥٨٩٠٨٣٨

رقم الإيداع بدار الكتب :
١٩٩٩/١٠٨٤٦

دار التوفيق النموذجية للطباعة
أوفست - تحضير أوفست - كمبيوتر
ت : ٥١١٥٣٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ولى الصالحين والصلاة والسلام على خير المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهيرين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك ولا معين وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين .

وبعـــد ...

فهذه الرسالة فى الأخلاق الكريمة والتحذير من الأخلاق الذميمة كتبتها لتكون نبراسا لمن يريد الاقتداء بمن أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ومدحه فقال وإنك على خلق عظيم. وهى تحوى مكارم الأخلاق وتحذر من مساوئها نفع الله بها سائر المسلمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

فى حسن الخلق وبيانه

الخلق هيئة راسخة فى النفس تصدر عنها الأفعال الإرادية من حسنة وسيئة وجميلة وقبيحة، وهى قابلة لتأثير التربية الحسنة والسيئة فيها. فإذا ما ربيت هذه الهيئة على إيثار الفضيلة والحق، وحب المعروف، والرغبة فى الخير، وروضت على حب الجميل، وكراهية القبيح، وأصبح ذلك طبعا لما تصدر عنه الأفعال الجميلة بسهولة ودون تكلف قيل فيه : خلق حسن .

ونعتت تلك الأفعال الجميلة الصادرة عنه بدون تكلف بالأخلاق الحسنة ، وذلك كخلق الحياء والحلم والأناة ، والصبر والتحمل ، والكرم والشجاعة ، والعدل والإحسان وما إلى ذلك من الفضائل الخلقية ، والكمالات النفسية .

كما أنها إذا أهملت فلم تهذب التهذيب اللائق

انظر منهاج المسلم .

بها، ولم يعن بتنمية عناصر الخير الكامنة فيها، أو ربيت تربية سيئة حتى أصبح القبيح محبوبا لها والجميل مكروما عندها ، وصارت الرذائل والنقائض من الأقوال والأفعال تصدر عنها بدون تكلف قيل فيها خلق سئ ، وسميت تلك الأقوال والأفعال الذميمة التى تصدر عنها بالأخلاق السيئة وذلك كالخيانة والكذب، والجزع والطمع، والجفاء والغلظة والفحش، والبذاء وما إليها.

ومن هنا نوه الإسلام بالخلق الحسن إلى تربيته فى المسلمين، وتنميته فـى نفوسهم، واعتبر إيمان العبد بفضائل نفسه، وإسلامه بحسن خلقه، وأثنى الله تعالى على نبيه بحسن خلقه فقال : **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾** **[سورة الأعراف]**، وأمره بمحاسن الأخلاق فقال: **﴿ادفع بالتى هى أحسن ، فإذا الذى بينك وبينه علوة كأنه ولى حميم﴾** **[سورة فصلت]** ، وجعل الأخلاق الفاضلة سببا تنال به الجنة العالية فقال : **﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض**

أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ [سورة آل عمران] ، وبعث رسوله ﷺ بإتمامها فقال عليه الصلاة والسلام : «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (البخارى). وبين ﷺ فضل محاسن الأخلاق فى غير ما قول فقال : «ما من شئ فى الميزان أثقل من حسن الخلق» (أحمد وأبو داود) . وقال «البر حسن الخلق» (البخارى). وقال : «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا»(أحمد وأبو داود) . وقال : «إن من أحبكم إلىّ وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا» (البخارى). وسئل عن أى الأعمال أفضل ؟ فقال : «حسن الخلق» . وسئل عن أكثر ما يدخل الجنة فقال: «تقوى الله وحسن الخلق» (الترمذى وصححه)، وقال: «إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وإنه لضعيف العبادة» (الطبرانى بسند جيد).

آراء السلف فى بيان حسن الخلق :

قال الحسن : حسن الخلق بسط الوجه ، وبذل الندى، وكف الأذى ، وقال عبد الله ابن المبارك : حسن الخلق فى ثلاث خصال : اجتناب المحارم ، وطلب الحلال ، والتوسعة على العيال . وقال آخر : حسن الخلق أن يكون من الناس قريبا ، وفيما بينهم غريبا . وقال آخر : «حسن الخلق كف الأذى واحتمال المؤمن». وقال آخر : «حسن الخلق أن لا يكون لك هم غير الله تعالى» وهذا كله تعريف له ببعض جزئياته، وأما تعريفه باعتبار ذاته وحقيقته ،فهو كما تقدم سابقاً .

وقالوا فى علامة الخلق الحسن : أن يكون كثير الحياء ، قليل الأذى كثير الصلاح صدوق اللسان ، قليل الكلام ، كثير العمل ، قليل الزلل ، قليل الفضول ، برا وصولا ، وقورا ، صبورا شكورا رضيا حليما ، وفيا عفيفا ، لا لعانا ولا سبابا ولا نماما ولا

مغتابا ، ولا عجولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا، بشاشا هشاشا ، يحب فى الله ويبغض فى الله ويرضى فى الله ويسخط فى الله . وهذا أيضاً منهم تعريف لذى الخلق الحسن ببعض صفاته . وفى الفصول الآتية فى كل فصل صفة من صفات الخلق الحسن كل على حدة ، وباستيفاء مجموع تلك الصفات يتشخص الخلق الحسن باعتبار أجزائه ، ويظهر ويتميز ذو الخلق الحسن باعتيار صفاته .

فى خلق الحياء

المسلم عفيف حيى ، والحياء خلق له : إن الحياء من الإيمان ، والإيمان عقيدة المسلم وقوام حياته ، يقول الرسول ﷺ : «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان»(١).

ويقول : «الحياء والإيمان قرناء جميعا فإذا رفع أحدهما رفع الأخر»(٢). وسرّكون الحياء من الإيمان أن كلا منهما داع إلى الخير صارف عن الشر مبعد منه ، فالإيمان يبعث المؤمن على فعل الطاعات وترك المعاصى ، والحياء يمنع صاحبه من التقصير فى الشكر للمنعم ، ومن التفريط فى حق ذى الحق، كما يمنع الحيى من فعل القبيح أو قوله اتقاء للذم والملامة . ومن هنا كان الحياء خيراً ، ولا يأتى إلا بالخير ، كما صح ذلك عن

(١) البخارى .

(٢) الحاكم وصححه على شرط الشيخين .

رسول الله ﷺ في قوله : «الحياء لا يأتى إلا بخير»[١] .

وقوله فى رواية مسلم : «الحياء خير كله» . ونقيض الحياء ، والبذاء فحش فى القول والفعل وجفاء فى الكلام ، والمسلم لايكون فاحشا ولا متفحشا ، ولا غليظا ولا جافيا ؛ إذ هذه صفات أهل النار ، والمسلم من أهل الجنة إن شاء الله فلا يكون من أخلاقه البذاء ولا الجفاء ، وشاهد هذا قول الرسول ﷺ : «الحياء من الإيمان والإيمان فى الجنة ، والبذاء من الجفاء والجفاء فى النار»[٢] .

وأسوة المسلم فى هذا الخلق الفاضل الكريم رسول الله سيد الأولين والآخرين إذ كان ﷺ أشد حياء من العذراء فى خدرها كما روى البخارى عن أبى سعيد وقال فيه : فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه فى وجهه .

(١) رواه الشيخان .

(٢) رواه أحمد بسند صحيح ، ومعنى الجفاء فى النار أن صاحبه النار كما أن صاحب الإيمان فى الجنة .

والمسلم إذ يدعو إلى المحافظة على خلق الحياء فى الناس وتنميته فيهم إنما يدعوا إلى خير ويرشد إلى بر : إذ الحياء من الإيمان والإيمان مجمع كل الفضائل ، وعنصر كل الخيرات . وفى الصحيح أن رسول الله مر برجل يعظ أخاه فى الحياء فقال : «دعه فإن الحياء من الإيمان»(١). فدعا بذلك ﷺ إلى الإبقاء على الحياء فى المسلم . ونهى عنه إزالته ، ولو منع صاحبه من استيفاء بعض حقوقه ، إذ ضياع بعض حقوق المرء خير له من أن يفقد الحياء الذى هو جزء إيمانه وميزة إنسانيته ، ومعين خيرته .

ورحم الله امرأة كانت قد فقدت طفلها فوقفت على قوم تسألهن عن طفلها ، فقال أحدهم تسأل عن ولدها وهى منتقبه ، فسمعته فقالت : لأن أرزأ فى ولدى خير من أن أرزأ فى حيائى أيها الرجل .

وخلق الحياء فى المسلم غير مانع له أن يقول حقا

---

(١) متفق عليه .

أو يطلب علما ، أو يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر . فقد شفع عند رسول الله ﷺ أسامة بن زيد حب رسول الله وابن حبه فلم يمنع الحياء رسول الله ﷺ أن يقول لأسامة فى غضب : «أتشفع فى حد من حدود الله يا أسامة والله لو سرقت فلانه لقطعت يدها»[١].

ولم يمنع الحياء أم سليم الأنصارية أن تقول يا رسول الله إن الله لا يستحى[٢] من الحق فهل على المرأة من غسل إذا هى احتلمت ؟ فيقول لها الرسول ﷺ - ولم يمنعه الحياء - «نعم إذا رأت الماء» . وخطب عمر مرة فعرض لغلاء المهور فقالت له امرأة أيعطينا الله وتمنعنا يا عمر ألم يقل الله وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئاً، فلم يمنعها الحياء أن تدافع عن حق نسائها ، ولم يمنع عمر الحياء أن يقول معتذرا كل الناس أفقه منك يا عمر ، كما خطب مرة المسلمين

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه البخارى .

وعليه ثوبان فأمر بالسمع والطاعة فنطق أحد المسلمين قائلا : فلا سمع ولا طاعة يا عمر عليك ثوبان وعلينا ثوب واحد. فنادى عمر بأعلى صوته: يا عبد الله بن عمر، فأجابه ولده : لبيك أبتاه ، فقال أنشدك الله أليس أحد ثوبى هو ثوبك أعطيتنيه ؟ قال بلى والله ، فقال الرجل الآن نسمع ونطيع يا عمر . فانظر كيف لم يمنع الحياء الرجل أن يقول ، ولا عمر أن يعترف .

والمسلم كما يستحى من الناس فلا يكشف لهم عورة، ولا يقصر فى حق وجب لهم عليه، ولا ينكر معروفاً أسدوه إليه، ولا يخاطبهم بسوء ولا يجابههم بمكروه، فهو يستحى من الخالق فلا يقصر فى طاعته ولا فى شكر نعمته وذلك لما يرى من قدرته عليه، وعلمه به متمثلا قول ابن مسعود: «استحيوا من الله حق الحياء فاحفظوا الرأس وما وعى. والبطن وما حوى، واذكروا الموت والبلى[1]». وقول الرسول ﷺ

(١) أخرجه المنذر مرفوعا ورجح وقفه على ابن مسعود رضى الله عنه.

«فالله أحق أن يستحيا منه من الناس»[(١)]. رواه البخارى.

فى خلق الصبر، واحتمال الأذى

من محاسن أخلاق المسلم التى يتحلى بها : الصبر واحتمال الأذى فى ذات الله تعالى أما الصبر فهو حبس النفس على ما تكره ، أو احتمال المكروه بنوع من الرضا والتسليم . فالمسلم يحبس نفسه على ما تكره من عبادة الله وطاعته ، ويلزمها بذلك إلزاما ، ويحبسها دون معاصى الله عز وجل فلا يسمح لها باقترابها ، ولا يأذن لها فى فعلها مهما تاقت لذلك بطبعها . وهشت له ، ويحبسها على البلاء إذا نزل بها

---

(١) تمام الحديث : عن أبى هريرة قال : قلت يا رسول الله عورتنا ما نأتى منها وما نذر ؟ قال : احفظ عورتك إلا من زوجك أو ما ملكت يمينك . قلت : يا نبى الله : إذا كان القوم بعضهم فى بعض ؟ قال : إن استطعت أن لا يراها أحد فلا يرينها . قلت : إذا كان أحدنا خاليا ؟ قال : فالله أحق أن يستحيا منه من الناس.

فلا يتركها تجزع ، ولا تسخط ، إذ الجزع ، كما قال الحكماء على الفائت آفة ، وعلى المتوقع سخافة والسخط على الأقدار معاتبة لله الواحد القهار وهو فى ذلك مستعين بذكر الله تعالى بالجزاء الحسن على الطاعات، وما أعد لأهلها من جزيل الأجر وعظيم المثوبات، وبذكر وعيده تعالى لأهل بغضته وأصحاب معصيته، من أليم العذاب، وشديد العقاب ويتذكر أن أقدار الله جارية ، وأن قضاءه عدل ، وأن حكمه نافذ، صبر العبد أم جزع، غير أنه مع الصبر الأجر ومع الجزع الوزر .

ولما كان الصبر وعدم الجزع من الأخلاق التى تكتسب وتنال بنوع من الرياضة والمجاهدة، فالمسلم بعد افتقاره إلى الله تعالى يدعوه أن يرزقه الصبر، فإنه يستلهم الصبر بذكر ما ورد فيه من أمر ، وما وعد عليه من أجر ، كقوله تعالى :

﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا

واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ [آل عمران] . وقوله : **﴿واستيعنوا بالصبر والصلاة﴾** [البقرة] ، وقوله : **﴿واصبرا وما صبرك إلا بالله﴾** [النحل] ، وقوله : **﴿واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾** [لقمان] ، وقوله تعالى : **﴿وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدن﴾** [البقرة] ، وقوله **﴿ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾** [النحل] ، وقوله : **﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا ، وكانوا بآياتنا يوقنون﴾** [السجدة] ، وقوله : **﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾** [الزمر] ، كقول الرسول ﷺ «الصبر ضياء» (رواه مسلم) ، وقوله : «ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يصبر يصبره الله وما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر»(رواه البخارى) ، وقوله : «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير له فكان خيرا له»(رواه مسلم) . وقوله عليه الصلاة

والسلام لابنته وقد أرسلت إليه تطلب حضوره ، إذ ولدها احتضر فقال لرسولها : «اقرأها السلام ، وقل لها : إن لله ما أخذ وله ما أعطى ، وكل شئ عنده بأجل مسمى ، فلتصبر ولتحتسب» (رواه البخارى) ، وقوله : يقول الله عز وجل : إذا ابتليت عبدى بحبيبتيه (عينيه) فصبر عوضته منهما الجنة» (رواه البخارى) ، وقوله : «من يرد الله به خيرا يصب منه» (رواه البخارى) ، وقوله : «إن أعظم الجزاء مع عظم البلاء. وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فله السخط» (رواه الترمذى وابن ماجة) ، وقوله عليه السلام : «ما يزال البلاء بالمؤمن فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة».

وأما احتمال الأذى فهو الصبر ولكنه أشق ، وهو بضاعة الصديقين ، وشعار الصالحين أن يؤذى المسلم فى ذات الله تعالى فيصبر ويحتمل ، فلا يرد السيئة بغير الحسنة ، ولا ينتقم لذاته ، ولا يتأثر لشخصيته

مادام ذلك فى سبيل الله ، ومؤديا إلى مرضات الله ، وأسوته فى ذلك المرسلون والصالحون إذ يندر من لم يؤذ منهم فى ذات الله ، ولم يبتل فى طريقه إلى الوصول إلى الله. قال عبد الله بن مسعود (رضى الله عنه) : كأنى أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكى نبياً من الأنبياء صلوات الله عليهم ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول : «اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون» (متفق عليه) . هذه صورة من صور احتمال الأذى كانت لرسول الله ﷺ .

وصورة أخرى له : «قسم يوما مالا ، فقال أحد الأعراب : قسمة ما أريد بها وجه الله ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاحمرت وجنتاه ، ثم قال : يرحم الله أخي موسى لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر» (متفق عليه) .

وقال خباب بن الأرت (رضى الله عنه) : «شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له فى ظل

الكعبة، فقلنا : ألا تنتصر لنا ، ألا تدعو لنا ، فقال : قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الأرض فيجعل فيها ، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دين الله» (رواه البخارى) ، وقص الله لنا عن المرسلين وحكى عنهم قولهم وهو يتحملن الأذى فقال : **﴿وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا ، ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾** [إبراهيم] ، وكان عيسى ابن مريم عليه السلام يقول لبنى إسرائيل : «لقد قيل لكم من قبل إن ألسن بالسن والأنف بالأنف، وأنا أقول لكم لا تقاوموا الشر بالشر بل من ضرب خدك الأيمن فحول إليه الخد الأيسر ، ومن أخذ منك رداءك فأعطه إزارك» (رواه الغزالى فى الإحياء) . وكان بعض أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : ما كنا نعد إيمان الرجل إيمانا إذا لم يصبر على الأذى ! .

على ضوء هذه الصور ، والأمثلة الحية من الصبر والتحمل يعيش المسلم صابرا محتسبا متحملا ، لا يشكو ولا يسخط ولا يدفع المكروه بالمكروه ، ولكن يدفع السيئة بالحنة ويعفو ويصبر ويغفر : **﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾** .

فى خلق التوكل على الله تعالى والاعتماد على النفس

المسلم لا يرى التوكل على الله تعالى فى جميع أعماله واجبا خلقيا فحسب بل يراه فريضة دينيه ، ويعده عقيدة إسلامية ، وذلك لأمر الله تعالى به فى قوله : **﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾ [المائدة]**، وقوله : **﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ [التغابن]** ، لهذا كان التوكل المطلق على الله سبحانه وتعالى جزءاً من عقيدة المؤمن بالله تعالى .

والمسلم إذ يدين لله تعالى بالتوكل عليه ، والأطراح الكامل بين يديه ، لا يفهم من التوكل ما

يفهمه الجاهلون بالإسلام ، وخصوم عقيدة المسلمين من أن التوكل مجرد كلمة تلوكها الألسن، ولا تعيها القلوب ، وتتحرك بها الشفاة ولا تفهمها العقول ، أو تتزواها الأفكار، أو هو نبذ الأسباب، وترك العمل، والقنوع والرضى بالهون والدون تحت شعار التوكل على الله، والرضا بما تجرى به الأقدار لا أبدا !! بل المسلم يفهم التوكل الذى هو جزء من إيمانه وعقيدته أنه طاعة الله باحضار كافة الأسباب المطلوبة لأى عمل من الأعمال التى يريد مزاولتها والدخول فيها ، فلا يطمع فى ثمرة بدون أن يقدم أسبابها ، ولا يرجو نتيجة ما بدون أن يضع مقدمتها ، غير أن موضع إثمار تلك الأسباب ، وانتاج تلك المقدمات يفوضه إلى الله سبحانه وتعالى إذ هو القادر عليه دون سواه .

فالتوكل عند المسلم إذا هو عمل وأمل، مع هدوء قلب وطمأنينه نفس، واعتقاد جازم أن ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن، وأن لا يضيع أجر من أحسن عملا.

والمسلم إذ يؤمن بسنن الله فى الكون فيعد للأعمال أسبابها المطلوبة لها ، ويستفرغ الجهد فى إحضارها وإكمالها لا يعتقد أبدا أن الأسباب وحدها كفيلة بتحقيق الأغراض ، وإنجاح المساعى ، لا ، بل يرى وضع الأسباب أكثر من شئ أمر الله به ، أن يطاع فيه كما يطاع فى غيره مما يأمر به وينهى عنه ، أما الحصول على النتائج ، والفوز بالرغائب فقد وكل أمرهما إلى الله تعالى ، وإذ هو القادر على ذلك دون غيره وأن ما شاء كان ومالم يشأ لم يكن، فكم من عامل كادح لم يأكل ثمرة عمله وكدحه، وكم من زارع لم يحصد ما زرع.

ومن هنا كانت نظرة المسلم إلى الأسباب : إن الاعتماد عليها وحدها واعتبارها هى كل شئ فى تحقيق المطلوب كفر وشرك ، يتبرأ منها ، وأن ترك الأسباب المطلوبة لأى عمل وإهمالها وهو قادر على إعدادها وإيجادها فسق ومعصية ويحرمها ويستغفر الله تعالى منهما .

والمسلم فى نظرته هذه إلى الأسباب مستمد فلسفتها من روح إسلامه ، وتعاليم نبيه محمد ﷺ ، فرسول الله كان فى حروبه الطويلة العديدة لا يخوض معركة حتى يعد لها عدتها ويهئ لها أسبابها ، فيختار حتى مكان المعركة، وزمانها ، فقد أثر عنه ﷺ أنه كان لا يشن غارة فى البحر إلا بعد أن يرد الجو، ويتلطف الهواء من آخر النهار ، وبعد أن يكون قد رسم خطته، ونظم صفوفه، وإذا فرغ من كل الأسباب المادية المطلوبة لنجاح المعركة رفع يديه سائلا الله عز وجل : «اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم» (متفق عليه) ، وكذلك كان هدية ﷺ فى الجمع بين الأسباب المادية والروحية ، ثم يعلق أمر نجاحه على ربه وينيط فلاحه وفوزه بمشيئة مولاه ، هذا مثال .

ومثال آخر : فقد انتظر ﷺ أمر ربه فى الهجرة إلى المدينة بعد أن هاجر إليها جل أصحابه ، وجاءه

الإذن من الله تعالى بالهجرة، فما هى الترتيبات التى اتخذها رسول الله عليه الصلاة والسلام لهجرته، إنها:

١ - إحضار رفيق من خيرة الرفقاء ، ألا وهوصاحبه أبو بكر الصديق رضى الله عنه ليصحبه فى طريقه إلى دار هجرته.

٢ - إعداد زاد السفر من طعام وشراب ، ربطته أسماء بنت أبى بكر بنطاقها حتى لقبت بذات النطاقين.

٣ - إعداد راحلة ممتازة للركوب عليها فى هذا السفر الشاق الطويل .

٤ - إحضار خريت (جغرافى) عالم بمسالك الطريق ودروبها الوعرة ليكون دليلا وهاديا فى هذه الرحلة الصعبة .

٥ - ولما أراد أن يخرج من بيته الذى طوقه العدو وحاصره فيه حتى لا ينفلت منه أمر ﷺ ابن عمه على

بن أبى طالب (رضى الله عنه) أن ينام على فراشه تمويها على العدو الذى ما برح ينتظر خروجه من المنزل ليفتك به ثم خرج وترك العدو ينتظر قومته من فراشه الذى يتراءى لهم من خلال شقوق الباب .

٦ - لما طلبه المشركون واشتدوا وراءه يبحثون عنه وعن صاحبه أبى بكر الصديق الذى فر معه . أوى إلى غار ثور فدخل ليستتر عن أعين طالبيه الناقمين الحاقدين عليه .

٧ - لما قال له أبو بكر : لو أن أحدهم نظر تحت قدمه لأبصرنا يا رسول الله ، قال له : ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما .

فمن خلال هذه الحادثة التى تجلت فيها حقائق الإيمان والتوكل معا يشاهد أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان لا ينكر الأسباب ، ولا يعتمد عليها ، وأن آخر الأسباب للمؤمن إطراحه بين يدى الله ، وتفويضه أمره إليه فى ثقة واطمئنان ، إن الرسول ﷺ

لما استنفد جميع الوسائل فى طلب النجاة حتى حشر نفسه التى طلب النجاة لها فى غار مظلم تسكنه العقارب والحيات ، وقال فى ثقه المؤمن ويقين المتوكل لصاحبه لما ساوره الخوف : لا تحزن إن الله معنا ، ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما . (رواه البخارى).

ومن هذا الهدى النبوى والتعليم المحمدى اقتبس المسلم نظرته تلك إلى الأسباب فليس هو فيها مبتدعا ولا متنطعا ، وإنما هومؤتس ومقتد .

أما الاعتماد على النفس فإن المسلم لا يفهم منه ما يفهمه المحجوبون بمعاصيهم عن أنفسهم من أنه عبارة عن قطع الصلة بالله تعالى ، وأن العبد هو الخالق لأعماله ، والمحقق لكسبه وأرباحه ، بنفسه ، وأنه لأدخل لله فى ذلك ، تعالى الله عما يتصورون .

وإنما المسلم إذ يقول بوجوب الاعتماد على النفس فى الكسب والعمل يريد بذلك أنه لا يظهر افتقاره إلى أحد غير الله ، ولا يبدى احتياجه إلى غير مولاه فإذا

أمكنه أن يقوم بنفسه على عمله فإنه لا يسنده إلى غيره، وإذا تأتى له أن يسد حاجته بنفسه فلا يطلب معونة غيره، ولا مساعدة أحد سوى الله، لما في ذلك من تعلق القلب بغير الله، وهو ما لا يحبه المسلم ولا يرضاه .

والمسلم فى هذا هو سالك درب الصالحين ، وماضى على سنن الصديقين، فقد كان أحدهم إذا سقط سوطه من يده وهو راكب على فرسه ينزل إلى الأرض ليتناوله بنفسه ولا يطلب من أحد أن يناوله إياه، وقد كان رسول الله ﷺ يبايع المسلم على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وأن لا يسأل أحدا حاجته غير الله تعالى.

والمسلم إذ يعيش على هذه العقيدة من التوكل على الله والاعتماد على النفس يغذى عقيدته هذه وينمى خلقه ذلك بإيراد خاطره من الوقت إلى الوقت على هذه الآيات النورانية ، والأحاديث النبوية التى استمد

منها عقيدته، واستوحى منها خلقه وذلك كقول الله تعالى : **﴿وتوكل على الحى الذى لا يموت﴾[التغابن]** ، وقوله : **﴿وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾[آل عمران]**، وقوله : **﴿إن الله يحب المتوكلين﴾** ، وكقول الرسول ﷺ : «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا» (رواه الترمذى وحسنه) ، وقوله إذا خرج من بيته : «بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله» (تقدم) ، وقوله فى السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب : «هم الذين لا يسترقون ، ولا يكتوون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون» (متفق عليه).

فى الإيثار وحب الخير

من أخلاق المسلم التى اكتسبها من تعاليم دينه ، ومحاسن اسلامه الإيثار على النفس ، وحب الغير ، فالمسلم متى رأى محلا للإيثار آثر غيره على نفسه ، وفضله عليها ، فقد يجوع ليشبع غيره ، ويعطش

ليروى سواه ، بل قد يموت فى سبيل حياة آخرين ، وما ذلك ببديع لا غريب على مسلم تشبعت روحه بمعانى الكمال، وانطبعت نفسه بطابع الخير وحب الفضيلة والجميل. وتلك هى صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ؟

والمسلم فى إيثاره وحبه للخير ناهج نهج الصالحين السابقين وضارب فى درب الأولين الفائزين الذين قال الله فيهم فى ثنائه عليهم : **﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾** [الحشر] ، إن كل خلائق المسلم الفاضلة ، وكل خصاله الحميدة الجميلة إنما هى مستقاه من ينابيع الحكمة المحمدية ، أو مستوحاة من فيوضات الرحمة الإلهية ، فعلى مثل قول الرسول الكريم المتفق عليه : «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» ، وتزداد أخلاق المسلم ، سموا وعلوا وعلى مثل قول الله تعالى : **﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم**

خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ .
كان شعور المسلم بحب الخير والرغبة فى الإيثار على النفس والأهل والولد يزداد قوة ونموا.

إن عبدا كالمسلم يعيش موصولا بالله لسانه لا يفتأ رطبا بذكره ، وقلبه لا يبرح عاكفا على حبه ، إن سرح فى ملكوت النظر جنى العبر ، وإن أورد الخاطر على مثل آيات المزمل وفاطر : **﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ، هو خيرا وأعظم أجرا﴾** ، **﴿وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجاره لن تبور ، ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور﴾** ، احتقر الدنيا وازدراها واصطفى الآخرة واجتباها ، ومن كان هذا حاله فكيف لا يبذل بسخاء ماله ، ولم لا يحب الخير ، ولا يؤثر الغير ، من علم أن ما يقدمه اليوم يجده غداً هو خير وأعظم أجراً ، وهاهى ذى خمس من آيات إيثار المسلم وحبه للخير نتلوها بالحق لقوم يعقلون :

١ - فى دار الندوة ، وافق مجلس شيوخ قريش بإجماع الآراء على اقتراح تقدم به أبو مرة لعنه الله عليه يقضى بقتل النبى ﷺ واغتياله فى منزله ، وبلغ رسول الله ﷺ القرار الجائر ، وقد أذن له بالهجرة ، فعزم عليها ، وبحث على من ينام على فراشه ليلا ليموه على المتربصين له ليبطشوا به ، فيغادر المنزل ويتركهم ينتظرون قيامه من فراشه فوجد ابن عمه الشاب المسلم على بن أبى طالب رضى الله عنه أهلا للفداء والتضحية فعرض عليه الأمر فلم يتردد على فى أن يقدم نفسه فداء لرسول الله ﷺ فينام على فراش لا يدرى متى تتخطفه الأيدى منه لترمى به إلى المتعطشين إلى الدماء يلعبون به بسيوفهم لعب الكرة بالأرجل ، ونام على وآثر رسول الله ﷺ بالحياة فضرب بذلك على حداثة سنه أروع مثل فى التضحية والفداء ، وهكذا يؤثر المسلم على نفسه ويجود حتى بنفسه والجواد بالنفس أقصى غاية الجود .

٢ - قال حذيفة العدوى : انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لى ومعى شئ من ماء وأنا أقول : إن كان به رمق سقيته ، ومسحت به وجهه ، فإذا أنا به فقلت : أسقيك ؟ فأشار إلى نعم . فإذا رجل يقول : آه ، فأشار ابن عمى إلى أن انطلق به إليه ، فجئته فإذا هو هشام بن العاص ، فقلت : أسقيك ؟ فسمع به آخر ، فقال : آه ، فأشار هشام انطلق به إليه ، فجئته فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى ابن عمى فإذا هو قد مات ، رحمة الله عليهم أجمعين .

وهكذا يضرب هؤلاء الشهداء الثلاثة الأبرار أعلى مثال فى الإيثار ، وتفضيل الغير على النفس ، وهذا شأن المسلم فى هذه الحياة .

٣ - روى أنه اجتمع عند أبى الحسن الأنطاكى نيف وثلاثون رجلا لهم أرغفة معدودة لا تكفيهم شبعا ، فكسروها وأطفأوا السراج ، وجلسوا للأكل فلما رفعت

السفرة فإذا الأرغفة بحالها لم ينقص منها شئ لأن أحدا منهم لم يأكل إيثارا للآخرين على نفسه حتى لم يأكلوا جميعا ، وهكذا آثر كل مسلم جائع منهم غيره فكانوا من أهل الإيثار جميعا .

٤ - روى الشيخان أنه نزل برسول الله ﷺ ضيف فلم يجد عند أهله شيئا فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب بالضيف إلى أهله ثم وضع بين يديه الطعام وأمر امرأته بإطفاء السراج ، وجعل يمد يده إلى الطعام كأنه يأكل ، ولا يأكل حتى أكل الضيف إيثارا للضيف على نفسه وأهله ، فلما أصبح قال له رسول الله ﷺ : لقد عجب الله من صنيعكم الليلة بضيفكم ونزلت آية : **﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾** .

٥ - حكى أن بشر بن الحارث أتاه رجل فى مرضه الذى توفى فيه ، فشكا إليه الحاجة فنزع بشر قميصه الذى كان عليه ، فأعطاه إياه ، واستعار قميصا مات فيه . . .

هذه خمس صور تشكل أنموذجا حيا لخلق المسلم فى الإيثار وحب الخير ذكرناها هنا ليورد المسلم عليها خاطره فيعود مشبعا بروح حب الخير والإيثار ويواصل أداء رسالته الخلقية فى الحياة وهو المسلم قبل كل شئ.

فى خلق العدل والاعتدال

المسلم يرى أن العدل بمعناه العام من أوجب الواجبات وألزمها ، إذا أمر الله تعالى به فى قوله : **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى﴾** [**النحل**] ، وأخبر تعالى أنه يحب أهله فى قوله : **﴿وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾** [**الممتحنة**] . والإقساط : العدل ، والمقسطون العادلون ؛ وأمر به تعالى فى الأقوال ، كما أمر به فى الأحكام ، قال تعالى : **﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى﴾** [**الأنعام**] ، وقال : **﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾** [**النساء**] ، ولهذا يعدل المسلم فى قوله وحكمه ،

ويتحرى العدل فى كل شأنه حتى يكون خلقا له . ووصفا لا ينفك عنه ، فتصدر عنه أقواله وأعماله عادلة بعيدة من الحيف والظلم والجور ، ويصبح بذلك عدلا لايميل به هوى ، ولا تجرفه شهوة أو دنيا ، ويستوجب محبة الله ورضوانه وكرامته وإنعامه ، إذ أخبر تعالى أنه يحب المقسطين ، وأخبر رسول الله عليه الصلاة والسلام عن كرامتهم عند ربهم بقوله : «إن المقسطين عند الله على منابر من نور ، والذين يعدلون فى حكمهم وما ولوا» (رواه مسلم) ، وقال : «سبعة يظلم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله تعالى ، ورجل معلق قلبه فى المساجد ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إنى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه» (رواه البخارى).

وللعدل مظاهر كثيرة يتجلى فيها، منها:

١ - العدل مع الله تعالى بأن لايشرك معه فى عبادته وصفاته غيره ، وأن يطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر.

٢ - العدل فى الحكم بين الناس بإعطاء كل ذى حق حقه ، ما يستحقه.

٣ - العدل بين الزوجات والأولاد فلا يفضل أحداً على آخر ولا يؤثر بعضهم على بعض .

٤ - العدل فى القول فلا يُشهد زور ، ولا يقال كذبُ أو باطلُ .

٥ - العدل فى المعتقد فلا يعتقد غير الحق والصدق ولا يثنى الصدر على غير ماهو الحقيقه والواقع .

وهذا مثال عال للعدل فى الحكم:

بيناعمر بن الخطاب جالس ، إذ جاءه رجل من أهل مصر، فقال : يا أمير المؤمنين : هذا مقام العائذ بك، فقال عمر : لقد عذت بمجير، فما شأنك ؟ قال: سابقت على فرس ابنا لعمرو بن العاص فسبقته، فجعل يقمعنى بسوطه ويقول : أنا ابن الأكرمين ، فبلغ ذلك عمرا أباه فخشى أن آتيك فحبسنى فى السجن فانطلقت منه فهذا الحين جئتك . فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص وهو أمير على مصر : «إذا أتاك كتابى هذا فاشهد الموسم أنت وولدك فلان»، وقال للمصرى: أقم حتى يجئ ، فقدم عمرو فشهد الحج ، فلما قضى عمر الحج وهو قاعد مع الناس، وعمرو بن العاص وابنه إلى جانبه، قام المصرى فرمى إليه عمر بالدرة وضربه فلم ينزع حتى أحب الحاضرون أن ينزع من كثرة ماضربه . وعمر يقول : اضرب ابن الأكرمين . فقال: يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت. قال : ضعها

على صلعة عمرو ، قال : يا أمير المؤمنين قد ضربت الذى ضربنى ، قال : أما والله لو فعلت ما منعك أحد حتى تكون أنت الذى تنزع ، ثم قال لعمرو : «يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً» .

ثمرة طيبة للعدل :

من ثمرات العدل فى الحكم إشاعة الطمأنينة فى النفوس . وروى أن قيصر أرسل إلى عمر بن الخطاب رسولا ليينظر أحواله ويشاهد أفعاله . فلما دخل المدينة سأل عن عمر بن الخطاب رسوله لينظر أحواله ويشاهد أفعاله ، فلما دخل المدينة سأل عن عمر وقال : أين ملككم ؟ فقالوا : مالنا ملك بل لنا أمير قد خرج إلى ظاهر المدينة ، فخرج فى طلبه فرآه نائما فوق الرمل ، وقد توسد درته، وهى عصا صغيرة كانت دائما بيده يغير بها المنكر ، فلما رآه على هذه الحال وقع الخشوع فى قلبه وقال : رجل يكون جميع الملوك لا يقر لهم

قرار من هيبته ، وتكون هذه حالته ، ولكنك ياعمر عدلت فنمت وملكنا يجور .

وأما الاعتدال فإنه أعم من العدل ، فهوينتظم كل شأن من شؤون المسلم فى هذه الحياة ، والاعتدال هو الطريق الوسط بين الإفراط والتفريط وهما الخلقان الذميمان ، فالاعتدال فى العبادات أن تخلو من الغلو والتنطع والإهمال والتفريط ، وفى النفقات الحسنة بين السيئتين : فلا إسراف ولاتقتير ، ولكن القوام بين الإسراف والتقتير . قال تعالى : ﴿**والذين إذا أنفقوا لم يسرقوا ولم يقتروا، وكان بين ذلك قواما**﴾ . وفى اللباس، حد بين الفخر والمباهاة، ولباس الخشن والمرقعات، وهو فى المشى حد وسط بين الاختيال والتكبر ، وبين المسكنة والتذلل ، وهو فى كل مجال وسط لا تفريط ولا شطط .

والاعتدال أخو الاستقامة ، وهو من أشرف الفضائل وأسمى الخلائق ، إذ هى التى توقف صاحبها

دون حدود الله فلا يتعداها ، وتنهض به إلى الفرائض فلا يقصر فى أدائها ، أو يفرط فى جزء من أجزائها ، وهى التى تعلمه العفة فيكفى بما أحل له عما حرم عليه.

ويكفى صاحبها شرفا وفخراً قول الله تعالى : **﴿وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا﴾** [الجن] ، وقوله : **﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون﴾** [الأحقاف] .

فى خلق الرحمة

المسلم رحيم، والرحمة خلق من أخلاقه، إذ منشأ الرحمة صفاء النفس وطهارة الروح، والمسلم بإتيانه الخير، وعمله الصالح، وابتعاده عن الشر، واجتنابه المفاسد هو دائما فى طهارة نفس وطيب روح، ومن كان هذا حاله فإن الرحمة لاتفارق قلبه، ولهذا كان المسلم يحب الرحمة ويبذلها ويوصى بها، ويدعو إليها

مصداقا لقوله تعالى : **﴿ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة﴾ [البلد]** ، وعملا بقول المصطفى ﷺ : «إنما يرحم الله من عباده الرحماء» (رواه البخارى) . وقوله: «ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء» (رواه الطبرانى والحاكم بسند صحيح) .

واسترشادا بقوله عليه الصلاة والسلام : «من لا يرحم لا يرحم»، ومن قوله : «لا تنزع الرحمة إلا من شقى»، وتحقيقا لقوله : «مثل المؤمنيين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (رواه مسلم).

والرحمة ، إن كانت حقيقتها رقة القلب وانعطاف النفس المقتضى للمغفرة والإحسان ، فإنها لن تكون دائما مجرد عاطفة نفسية لا أثر لها فى الخارج ، بل إنها ذات آثار خارجية ، ومظاهر حقيقية تتجسم فيها فى عالم الشهادة ، ومن اثار الرحمة الخارجية العفو

عن ذى الزلة والمغفرة لصاحب الخطيئة وإغاثة الملهوف، ومساعدة الضعيف وإطعام الجائع وكسوة العارى ومداواة المريض ومواساة الحزين . كل هذه من اثار الرحمة وغيرها كثير .

ومن صور مظاهر الرحمة التى تتجلى فيها وتبرز للحس والعيان ما يلى :

١ - روى البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : «دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبى يوسف القين ، وكان ظئرًا[1] لإبراهيم فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم ولده وقبله وشمه ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله تذرفان ، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه : وأنت يارسول الله ؟ فقال : يا ابن عوف إنها الرحمة ! . ثم قال : إن العين تدمع والقلب يحزن ، لا نقول إلا ما يرضى ربنا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون».

(١) ظئر: هو زوج المرضعة والظئر يطلق أيضا على المرضعة.

فزيارة رسول الله ﷺ لطفله الصغير وهو فى بيت مرضعه ، وتقبيله إياه وشمه ، ثم عيادته له وهو مريض يجود بنفسه ، ثم ما أرسل عليه من دموع الحزن ، كل ذلك من مظاهر الرحمة فى القلب .

٢ - روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «بينما رجل يمشى فاشتد عليه العطش فنزل بئرا فشرب منها ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش» ، فقال : لقد بلغ بهذا مثل الذى بلغ بى فملأ خفه ثم أمسكه بفيه، ثم رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له . قالوا : يا رسول الله وإن لنا فى البهائم أجرا ؟ قال : «فى كل كبد رطبة أجر» .

فنزول الرجل فى البئر وتحمله مشقة إخراج الماء وسقيه الكلب العطشان . كل هذا من مظاهر رحمته فى قلبه ، ولولا ذلك لما صنع الذى صنع ، ويعكسه ماروواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى

ﷺ أنه قال: عذبت امرأة فى هرة حبستها حتى ماتت فدخلت فيها النار ، وقيل لها : لا أنت أطعمتها ولا سقيتها حين حبستها ولا أنت أرسلتها فأكلت من خشاش الأرض .

إن صنيع هذه المرأة مظهر قسوة القلوب وانتزاع الرحمة منها ، والرحمة لا تنزع إلا من قلب شقى .

٣ - روى البخارى عن قتادة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إنى لأدخل فى صلاة فأريد إطالتها فأسمع بكاء الصبى فأتجوز مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه ، فعدوله ﷺ عن إطالة صلاته التى عزم على إطالتها ، ووجد الأم من بكاء طفلها ، مظهر من مظاهر الرحمة التى أودعها الله فى قلوب الرحماء من عباده .

٤ - روى أن زين العابدين على بن الحسين رضى الله عنه كان فى طريقه إلى المسجد فسبه رجل فقصده غلمانه (جمع غلام ، وهو الخادم) ليضربوه ويؤذه ،

فنهاهم وكفهم عنه رحمة به ثم قال : ياهذا ؟ أنا أكثر مما تقول وما لا تعرفه عنى أكثر مما تعرفه ، فإن كان لك حاجة فى ذلك ذكرتها ، فخجل الرجل واستحيا فخلع عليه زين العابدين قميصه، وأمر له بألف درهم، فهذا العفو، وهذا الإحسان لم يكونا إلا مظهرا من مظاهر الرحمة التى فى قلب حفيد رسول الله ﷺ .

فى خلق الإحسان

المسلم لا ينظر إلى الإحسان، وأنه خلق فاضل يجمل التخلق به فحسب ، بل ينظر إليه وأنه جزء من عقيدته، وشقص كبير من إسلامه، إذ الدين الإسلامى مبناه على ثلاثة أمور وهى: الإيمان، والإسلام، والإحسان . كما جاء ذلك فى بيان رسول الله ﷺ وقال عقب انصرافه : هذا جبريل أتاكم ليعلمكم أمر دينكم ، فسمى الثلاثة دينا ، وقد أمر الله سبحانه بالإحسان فى غير موضع من كتابه الكريم إذ قال : ﴿**وأحسنوا إن الله يحب المحسنين**﴾ **[البقرة]** ، وقال

تعالى : ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان**﴾ [**النحل**] وقال سبحانه : ﴿**وقولوا للناس حسنا**﴾ [**البقرة**] ، وقال : ﴿**وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وماملكت أيمانكم**﴾[**النساء**] ، وقال رسول الله ﷺ : «إن الله كتب الإحسان على كل شئ ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته» (رواه مسلم) .

والإحسان فى باب العبادات : أن تؤدى العبادة أيا كان نوعها من صلاة أو صيام، أو حج أو غيرها أداء صحيحا، باستكمال شروطها وأركانها واستيفاء سننها وآدابها ، وهذا مالا يتم للعبد إلا كان حال أدائه للعبادة يستغرق فى شعور قوى بمراقبة الله عز وجل حتى لكأنه يراه تعالى ويشاهده، أو على الأقل يشعر نفسه بأن الله تعالى مطلع ناظر إليه فبهذا وحده يمكنه أن يحسن عبادته، ويتقنها فيأتى بها على الوجه المطلوب، والصورة الكاملة لها ، وهذا ما أرشد إليه الرسول فى

قوله : «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (البخارى).

وأما الإحسان فى باب المعاملات فهو للوالدين ببرهما الذى هو طاعتهما، وإيصال الخير إليهما، وكف الأذى عنهما، والدعاء والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقهما، وهو للأقارب ببرهم ورحمتهم، والعطف والحدب عليهم ، وفعل ما يجمل فعله معهم. وترك ما يسئ إليهم، أو يقبح قوله ، أو فعله معهم .

وهو لليتامى بالمحافظة على أموالهم، وصيانة حقوقهم، وتأديبهم وتربيتهم وترك أذاهم، وعدم قهرهم، وبالهش فى وجوهم، والمسح على رؤوسهم، وهو للمساكين بسد جوعتهم، وستر عورتهم، وبالحث على إطعامهم وعدم المساس بكرامتهم فلا يحتقرون ولا يزدرون، ولا ينالون بسوء أو يمسون بمكروه . وهو لابن السبيل : بقضاء حاجته ، وسد خلته ، ورعاية ماله ،

وصيانة كرامته ، وبإرشاده إن استرشد ، وهدايته إن ضل .

وهو للخادم بإتيانه أجره قبل أن يجف عرقه ، وبعدم إلزامه ما لا يلزمه أو تكليفه ما لا يطيق، ويصون كرامته ، واحترام شخصيته ، فإن كان من خدم البيت فبإطعامه مما يطعم أهله ، وكسوته مما يكسون . وهو لعموم الناس بالتلطف فى القول لهم ، ومجاملتهم فى المعاملة والمخاطبة بعد أمرهم بالمعروف ، ونهيهم عن المنكر، وبإرشاد ضالهم ، وتعليم جاهلهم وبإنصافهم من النفس، والاعتراف بحقوقهم، وبكف الأذى عنهم بعدم ارتكاب ما يضرهم أو فعل ما يؤذيهم .

وهو للحيوان باطعامه إن جاع، ومداواته إن مرض، وبعدم تكليفه ما لا يطيق وحمله على ما لا يقدر ، وبالرفق به إن عمل ، وإراحته إن تعب .

وفى الأعمال البدنية بإجادة العمل وإتقان الصنعة وبتخليص الأعمال من الغش وقوفا عند قول الرسول

ﷺ فى الصحيح : «من غشنا فليس منا» .

ومن مظاهر الإحسان ما يلى :

١ - لما فعل المشركون بالنبى ﷺ ما فعلوا يوم أحد من قتل عمه والتمثيل به ومن كسر رباعيته ، وشج وجهه طلب إليه أحد الأصحاب أن يدعو على المشركين الظالمين فقال : اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون .

٢ - قال عمر بن عبد العزيز يوما لجاريته : روحينى حتى أنام فروحته فنام ، وغلبها النوم فلما انتبه أخذ المروحة يروحها فلما انتبهت ورأته يروحها صاحت، فقال : إنما أنت بشر مثلى أصابك من الحر ما أصابنى فأحببت أن أروحك كما روحتنى .

٣ - أغاظ أحد السلف غلام له غيظا شديداً فهم بالانتقام منه. فقال الغلام والكاظمين الغيظ، فقال الرجل : كظمت غيظى، فقلا الغلام: والعافين عن الناس فقال: عفوت عنك، فقال الغلام: والله يحب المحسنين، فقال : اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى .

فى خلق الصدق

المسلم صادق ، يحب الصدق ويلتزمه ظاهرا وباطنا فى أقواله وفى أفعاله ، إذ الصدق يهدى إلى البر ، والبر يهدى إلى الجنة ، والجنة أسمى غايات المسلم ، وأقصى أمانيه ، والكذب وهو خلاف الصدق وضده إلى الفجور ، والفجور يهدى إلى النار ، والنار من شر ما يخافه المسلم ويتقيه .

والمسلم لا ينظر إلى الصدق كخلق فاضل والتخلق به لا غير ، بل إنه يذهب إلى أبعد من ذلك ، يذهب إلى أن الصدق من متممات إيمانه ، ومكملات إسلامه، إذ أمر الله تعالى به ، وأثنى على المتصفين به ، كما أمر به رسوله وحث عليه ودعا إليه ، قال تعالى فى الأمر به : **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ [التوبة]** ، وقال فى الثناء على أهله : **﴿رجال صدقوا ما عاهدوا اللهه عليه﴾ [الأحزاب]** ، وقال **﴿والصادقين والصادقات﴾ [الأحزاب]** ، وقال :

﴿والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون﴾ **[الزمر]** ، وقال رسوله ﷺ فى الأمر به : «عليكم بالصدق فإن يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ، ويتحرى الصدق ، حتى يكتب عند الله صديقا ، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار ومايزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا» (رواه مسلم).

هذا وإن للصدق ثمرات طيبة يجنيها الصادقون وهذه أنواعها :

١ - راحة الضمير ، وطمأنينة النفس ، لقول الرسول ﷺ : «الصدق طمأنينة»(١).

٢ - البركة فى الكسب ، وزيادة الخير ، لقول الرسول ﷺ : «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا

(١) الترمذى وصححه بلفظ : دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة .

وبينا بورك لهما فى بيعهما ، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما» (البخارى) .

٣ - الفوز بمنزلة الشهداء لقوله عليه الصلاة والسلام : من سأل الله الشهادة بصدق بلغة الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه» (مسلم).

٤ - النجاة من المكروه، فقد حكى أن هاربا لجأ إلى أحد الصالحين وقال له: أخفنى عن طالبى. فقال له: من هنا، وألقى عليه حزمة من خوص، فلما طالبوه وسألوا عنه قال لهم: هاه ذا تحت الخوص، فظنا أنه يسخر منهم فتركوه، ونجا ببركة صدق الرجل الصالح .

هذا وللصدق مظاهر يتجلى فيها، منها :

١ - فى صدق الحديث ، فالمسلم إذا حدث لا يحدث بغير الحق والصدق، وإذا أخبر فلا يخبر بغير ما هو الواقع فى نفس الأمر، إذ كذب الحديث من النفاق

وآياته، قال ﷺ: «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان» (متفق عليه).

٢ - صدق المعاملة ، فالمسلم إذا عامل أحدا صدقه فى معاملته فلا يغش ولا يخدع ، ولا يزور ، ولا يغرر بحال من الأحوال .

٣ - صدق العزم ، فالمسلم إذا عزم على فعل ما ينبغى فعله لا يتردد فى ذلك ، بل يمضى فى عمله غير ملتفت إلى شئ ، أو مبال بآخر حتى ينجز عمله .

٤ - صدق الوعد . فالمسلم إذا وعدا أحداً أنجز له ما وعده به ، إذ خلف الوعد من آيات النفاق كما سبق فى الحديث الشريف .

٥ - صدق الحال، فالمسلم لا يظهر فى غير مظهره، ولا يظهر خلاف ما يبطنه، فلا يلبس ثوب زور، ولا يرائى، ولا يتكلف ما لبس له لقول رسول الله ﷺ: «المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور» (مسلم) .

ومعنى هذا أن المتزين المتجمل بما لا يملك أنه غنى يكون كمن يلبس ثوبين خلقين ليتظاهر بالزهد وهو ليس بزاهد ولا متقشف.

ومن أمثلة الصدق الرفيعة ما يلى:

١ - روى الترمذى عن عبد الله بن الحمساء قال: بايعت رسول الله ﷺ ببيع قبل أن يبعث، وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها فى مكانة فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاثة أيام فجئت فإذا هو فى مكانه فقال: يا فتى لقد شققت على أنا هاهنا منذ ثلاث أنظرك.

ومثل هذا الذى حصل لنبينا عليه الصلاة والسلام وحصل لجده الأعلى إسماعيل بن إبراهيم الخليل حتى أثنى الله تعالى عليه فى كتابه العزيز بقوله: ﴿**واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا**﴾ [مريم].

٢ - خطب الحجاج بن يوسف يوما، فأطال الخطبة فقال أحد الحاضرين: الصلاة، فإن الوقت لا

ينتظرك، والرب لا يعذرك ، فأمر بحبسه فأتاه قومه وزعموا أن الرجل مجنون . فقال الحجاج : إن أقر بالجنون خلصته من سجنه ، فقال الرجل : لا يسوغ لى أن أجحد نعمة الله التى أنعم بها على وأثبت لنفسى صفة الجنون التى نزهنى الله عنها ، فلما رأى الحجاج صدقه خلى سبيله.

٣ - روى الإمام البخارى رحمه الله تعالى، أنه خرج يطلب الحديث من رجل فرآه قد هربت فرسه، وهو يشير إليها برداء كأن فيه شعيرا فجاءته فأخذها، فقال البخارى. أكان معك شعير ؟ فقال الرجل : لا، ولكن أوهمتها ، فقال البخارى : لا آخذ الحديث ممن يكذب على البهائم ، فكان هذا مثلا عاليا فى مجرى الصدق .

فى خلق السخاء والكرم

السخاء خلق المسلم ، والكرم شيمته ، والمسلم لا يكون شحيحا ولا بخيلا ، إذ الشح والبخل خلقان

ذميمان منشؤهما خبث النفس وظلمة القلب ، والمسلم بإيمانه وعمله الصالح نفسه طاهرة وقلبه مشرق ، فيتنافى مع طهارة نفسه ، وإشراق قلبه وصف الشح والبخل فلا يكون المسلم شحيحا ولا بخيلا . والشح وإن كان مرضا قلبيا عاما لا يسلم منه البشر إلا أن المسلم بإيمانه وعمله الصالح كالزكاة والصلاة يقيه الله تعالى شر هذا الداء الوبيل للفلاح ، ويهيئه للفوز الأخروى .

قال الله تعالى : ﴿**إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا، وإذا مسه الخير منوعا ، إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون ، والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم**﴾ [المعارج] . وقال تعالى : ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**﴾ [التوبة] وقال سبحانه : ﴿**ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**﴾ [الحشر] .

ولما كانت الأخلاق الفاضلة مكتسبة بنوع من الرياضة والتربية فإن المسلم يعمل على تنمية الخلق

الفاضل الذى يريد أن يتخلق به بإيراد خاطره على ما ورد فى الشرع الحكيم من ترغيب فى ذلك الخلق ، وترهيب من ضده ، فلتنمية خلق السخاء فى نفسه يعكف قلبه متأملا متدبرا على مثل قوله تعالى : **﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين﴾** [المنافقون] ، وقوله سبحانه : **﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يغنى عنه ماله إذا تردى﴾** [الليل] ، وقوله **﴿وما لكم ألا تنفقوا فى سبيل الله ، ولله ميراث السموات والأرض﴾** [الحديد] ، وقوله سبحانه : **﴿وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون﴾** [البقرة] ، وقول الرسول ﷺ : «إن الله جواد يحب الجواد ، ويحب مكارم الأخلاق ويكره سفسافها» (متفق عليه). وقوله عليه الصلاة والسلام : «لا حسد إلا فى اثنين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على

هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها» (البخارى) ، وقوله : أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله ؟ .

فقالوا : يارسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه. قال : فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر» (البخارى) ، وقوله : «اتقوا النار ولو بشق تمرة» (البخارى) ، وقوله «مامن يوم يصبح فيه العباد إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما «اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا» (البخارى) ، وقوله : «اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم» (مسلم) ، وقوله «بقى كلها إلا كتفها» قاله لعائشة رضى الله عنها لما سألها عما بقى من الشاة التى ذبحوها ، فقالت : ما بقى منها إلا كتفها ، تعنى أنها أنفقت كلها ولم يبق من لحمها إلا الكتف»

وقوله عليه أفضل الصلاة والسلام : «من تصدق

بعدل تمرة من كسب حلال طيب ـ ولا يقبل الله إلا الطيب ـ فإن الله يتقبلها بيمينه ، ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه (المهر) حتى تكون مثل الجبل» (متفق عليه) .

ومن مظاهر السخاء ما يلى :

١ - أن يعطى الرجل العطاء فى غير من ولا أذى.

٢ - أن يفرح المعطى بالسائل الذى سأله ، ويسر لعطائه.

٣ - أن يتفق فى غير إسراف ولا تقتير .

٤ - أن يعطى المكثر من كثيره ، والمقل من قليله فى رضا نفس وانبساط وجه ، وطيب قول .

ومن أمثلة السخاء العالية ما يلى :

١ - روى أن عائشة رضى الله عنه بعث إليها معاوية رضى الله عنه بمال قدره مائة وثمانون ألف درهم ، فدعت بطبق تقسمه بين الناس ، فلما أمست

قالت لجاريتها : هلمى فطورى ، فجاءتها بخبز وزيت وقالت لها : ما استطعت فيما قسمت اليوم أن تشترى لنا بدرهم لحما نفطر عليه ؟ فقالت : «لو ذكرتينى لفعلت».

٢ - روى أن عبد الله بن عامر اشترى من خالد بن عقبة بن أبى معيط داره التى فى سوق مكة بسبعين ألف درهم ، فلما كان الليل سمع عبد الله بكاء أهل خالد ، فسأل عن ذلك فقيل له : يبكون لدارهم ، فقال لغلامه ائتهم وأعلمهم أن الدار والدراهم جميعا لهم .

٣ - روى أن الإمام الشافعى ، رحمه الله ، لما مرض مرضه الذى توفى فيه أوصى بأن يغسله فلان ، فلما توفى دعوا من أوصى بتغسيله ، فلما حضر قال : أعطونى تذكرته فأعطوه إياها ، فإذا فيها على الشافعى دين قدره سبعون ألف درهم ، فكتبها الرجل ليقيضها لأصحابها ، وقال : هذا غسلى إياه ، وانصرف .

٤ - روى أنه لما تجهز الرسول ﷺ لحرب الروم ، وكان المسلمون وقتئذ فى ضيق كبير وعسر شديد حتى سمى جيش الرسول فيها «جيش العسرة» خرج عثمان بن عفاف رضى الله عنه بصدقة قدرها عشرة آلاف دينار، وثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها وخمسون فرسا، فجهز بذلك نصف الجش جمعيه .

فى خلق التواضع ، وذم الكبر

المسلم يتواضع فى غير مذلة ولا مهانة ، والتواضع من أخلاقه المثالية وصفاته العالية ، كما أن الكبر ليس له ، ولا ينبغى لمثله ، إذ المسلم يتواضع ليرتفع ، ولا يتكبر لئلا يخفض ، إذ سنة الله جارية فى رفع المتواضعين له ، ووضع المتكبرين . قال رسول الله ﷺ : «ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله» (مسلم) ، وقال : «حق على الله أن لا يُرفع شئ من الدنيا إلا وضعه» (البخارى) ، وقال ﷺ : يحشر

المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر فى صور الرجال بغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن فى جهنم يقال له (بولس) تعلوه نار الأنيار .يسقون من عصارة أهل النار «طينة الخبال» (النسائى والترمذى وحسنه) ، والمسلم عندما يصغى بأذنه إلى مثل هذه الأخبار الصادقة من كلام الله وكلام رسول الله ﷺ فى الثناء على المتواضعين مرة ، وفى ذم المتكبرين أخرى ، وطورا فى الأمر بالتواضع ، وآخر فى النهى عن الكبر . كيف لا يتواضع ولا يكون التواضع خلقا له ، وكيف لا يتجنب الكبر ولا يمقت المتكبرين .

قال الله تعالى فى أمر رسوله ﷺ بالتواضع : **﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾[الشعراء]** ، وقال تعالى: **﴿ولا تمش فى الأرض مرحا﴾ [لقمان]**، وقال فى الثناء على أوليائه بوصف التواضع فيهم : **﴿يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ [المائدة]** ، وقال فى جزاء المتواضعين :

﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا﴾ [القصص] ، وقال رسول الله ﷺ فى الأمر بالتواضع : «إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد» (مسلم) ، وقال ﷺ فى الترغيب فى التواضع : «ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم ، فقال له أصحابه : وأنت ؟ قال : نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة» (البخارى) ، وقال ﷺ : «لو دعيت إلى كراع شاة أو ذراع لأجبت ولو أهدى إلى ذراع أو كراع لقبلت» (البخارى) . وقال ﷺ فى التنفير من الكبر : «ألا أخبركم بأهل النار : كل عتل[1] جواظ مستكبر» (متفق عليه).

وقال : قال الله عز وجل : «العز إزارى ، والكبرياء ردائى ، فمن ينازعنى فى واحد منهما فقد

(١) العتل : الغيظ الجافى ، والجواظ : هو الجموع المنوع ، أو هو الضخم الجسم المختال .

عذبته» (مسلم) ، وقال ﷺ «بينما رجل فى حلة تعجبه نفسه ، مرجل رأسه يختال فى مشيه إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فى الأرض إلى يوم القيامة» . (متفق عليه).

ومن مظاهر التواضع ما يلى :

١ - إن تقدم الرجل على أمثاله فهو متكبر ، وإن تأخر عنهم فهو متواضع .

٢ - إن قام من مجلسه لذي علم وفضل ، وأجلسه فيه ، وإن قام سوى له نعله وخرج إلى الباب المنزل ليشيعه فهو متواضع.

٣ - إن قام للرجل العادى وقابله ببشر وطلاقة ، وتلطف معه فى السؤال وأجاب دعوته وسعى فى حاجته ولا يرى نفسه خيرا منه فهو متواضع .

٤ - إن زار غيره ممن هو دونه فى الفضل ، أو مثله وحمل معه متاعه ، أو مشى معه فى حاجته فهو متواضع .

٥ - إن جلس إلى الفقراء والمساكين والمرضى وأصحاب العاهات، وأجاب دعوتهم وأكل معهم وماشاهم فى طريقهم فهو متواضع .

٦ - إن أكل أو شرب فى غير إسراف ، ولبس فى غير مخيلة فهو متوضع .

وهذه أمثلة عالية للتواضع :

١ - روى أن عمر بن عبد العزيز أتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج يطفأ فقال الضيف : أقوم إلى المصباح فأصلحه ؟ فقال : ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه . فقال الضيف : إذا أنبه الغلام ؟ فقال عمر: إنها أول نومة نامها فلا تنبهه وذهب وملأ المصباح زيتا ، ولما قال له الضيف : قمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين ؟ أجاب قائلا : ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر ، وما نقص منى شئ ، وخير الناس من كان عند الله متواضعا.

٢ - روى أن أبا هريرة رضى الله عنه أقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة بالمدينة لمروان ، ويقول : أوسعوا للأمير وهو يحمل حزمة الحطب .

٣ -رؤى عمر بن الخطاب مرة حاملا لحما بيده اليسرى ، وفى يده اليمنى الدرة وهو أمير المسلمين وخليفتهم يومئذ .

٤ - روى أن عليا رضى الله عنه اشترى لحما فجعله فى ملحفته فقيل له : يحمل عليك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : لا ، أبو العيال أحق أن يحمل .

٥ - قال أنس بن مالك رضى الله عنه : «إن كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد الرسول ﷺ فتنطلق به حيث شاءت» (البخارى).

٦ - قال أبو سلمة : قلت لأبى سعيد الخدرى : ما ترى فيما أحدث الناس من الملبس والشرب والمركب والمطعم ؟ فقال : يا ابن أخى كل لله واشرب لله ،

وألبس لله وكل شئ دخله من ذلك زهوا أو مباهاة أو سمعة فهو معصية وسرف ، وعالج فى بيتك من الخدمة ما كان يعالج رسول الله ﷺ فى بيته ، كان يعلف الناضج ويعقل البعير ، ويقُمّ[١] البيت ويحلب الشاة ، ويخصف[٢] النعل ، ويرقع الثوب ، ويأكل مع خادمه ويطحن عنه إذا أعيا ، ويشترى الشئ من السوق ، ولا يمنعه الحياء أن يعلقه بيده أو يجعله فى طرف ثوبه ، وينقلب إلى أهله ، يصافح الغنى والفقير ، والكبير والصغير ويسلم مبتدئا على كل من استقبله من صغير وكبير ، أو أسود أو أحمر ، حرا أو عبداً من أهل الصلاة .

فى جملة أخلاق ذميمة

الظلم ، الحسد ، الغش ، الرياء ، العجب ، العجز ، الكسل .

---

(١) يقُمّ : يكنس وينظف .

(٢) يخصف : يخيط .

أ - الظلم :

المسلم لا يظلم ولا يظلم ، فلا يصدر عنه ظلم لأحد ، ولا يقبل الظلم لنفسه من أحد إذ الظلم بأنواعه الثلاث محرم فى الكتاب والسنة معا ، قال تعالى : ﴿**لا تظلمون ولا تظلمون**﴾ **[البقرة]** ، وقال سبحانه : ﴿**ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا**﴾ **[الفرقان]** ، وقال عز وجل فيما يرويه عنه نبيه ﷺ : «ياعبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا» (مسلم) ، وقال عليه الصلاة والسلام : «واتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة» (مسلم) . قال : «من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين» (متفق عليه) . وقال : «إن الله ليملى للظالم فإذا أخذه لم يفلته ثم قرأ : ﴿**وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد**﴾» (متفق عليه) ، وقال: «واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» (متفق عليه) .

أنواع الظلم الثلاثة هى :

١ - ظلم العبد فى علاقته مع ربه .وذلك يكون به تعالى ، قال سبحانه :﴿**والكافرون هم الظالمون**﴾ [**البقرة**] . ويكون بالشرك فى عبادته تعالى بأن يصرف بعض عباداته تعالى إلى غيره . قال سبحانه ﴿**إن الشرك لظلم عظيم**﴾ [**لقمان**].

٢ - ظلم العبد لغيره من عباد الله ومخلوقاته ، وذلك بأذيتهم فى أعراضهم أو أبدانهم أو أموالهم بغير حق ، قال نبى الله ﷺ : من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه ، أو من شئ فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه» (البخارى).

وقال : «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة . فقال الرجل : وإن كان يسيرا يا رسول الله ؟ فقال وإن قضيبا من

أراك»[1] (مسلم) ، وقال عليه الصلاة والسلام : «لن يزال المؤمن فى فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما» (مسلم) . وقال : «كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه» (البخارى) .

٣ - ظلم العبد لنفسه ، وذلك بتدسيتها وتلويثها بآثر أنواع الذنوب والجرائيم والسيئات من معاصى الله ورسوله ، قال تعالى : ﴿**وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**﴾ **[النحل]** ، فمرتكب الكبيرة من الإثم والفواحش هو ظالم لنفسه إذ عرضها لما يؤثر فيها من الخبث والظلمة فتصبح أهلا للعنة الله ، والبعد منه تعالى .

ب - الحسد :

المسلم لا يحسد ولا يكون الحسد خلقا له ولا وصفا فيه مادام يحب الخير للجميع ويؤثر على نفسه فيه

(١) الأراك : السواك .

إذ الحسد مناف لذينك الخلقين الكريمين : حب الخير والإيثار فيه .

والمسلم يبغض خلق الحسد ويمقت عليه ، لأن الحسد اعتراض على قسمة الله فضله بين خلقه ، قال تعالى : ﴿**أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله**﴾ **[النساء]** ، وقال تعالى : ﴿**أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا**﴾ **[الزخرف]** .

والحسد قسمان : أولهما ، أن يتمنى المرء زوال النعمة من مال أو علم أو جاه أو سلطان عن غيره لتحصل له. وثانيهما ، هو شرهما ، أن يتمنى زوال النعمة عن غيره ولو لم تحصل له ولم يظفر بها .

وليس من الحسد الاغتباط وهو تمنى حصول نعمة مثل نعمة غيره من علم أو مال أو صلاح حال بدون تمنى زوالها عن غيره ، لقوله ﷺ : «لا حسد إلا فى

اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق: ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها» (البخارى) . والمراد بالحكمة هنا القرآن الكريم والسنة النبوية .

والحسد بقسميه محرم تحريما قطعيا ، فلا يحل لأحد أن يحسد أحدا ، قال تعالى ﴿**أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله**﴾ ، وقال : ﴿**حسدا من عند أنفسهم**﴾ **[البقرة]** وقال : ﴿**ومن شر حاسد إذا حسد**﴾ **[الفلق]** فذم الله تعالى لهذا الخلق الذميم مقتض تحريمه له ونهيه عنه .

وقال رسول الله ﷺ : «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا، فلا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث» (متفق عليه) ، وقال : «إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو العشب»(أبو داود) .

والمسلم إن خطر له خاطر بحكم بشريته وعدم عصمته قاومه بدفعه من نفس وكراهيته له حتى لا يصير همّا أو عزيمة له فيقول بموجبه أو يعمل فيهلك ، وأن أعجبه الشئ قال ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، وبذلك لا يؤثر فيه ويسلم .

جـ ـ الغش :

المسلم يدين الله تعالى بالنصيحة لكل مسلم ، ويعيش عليها ، فليس له أن يغش أحدا أو يغدر أو يخون ، إذ الغش والخيانة والغدر صفات ذميمة قبيحة فى المرء والقبيح لا يكون خلقا للمسلم ولا وصفا له بحال من الأحوال ، إذ طهارة نفسه المكتسبة من الإيمان والعمل الصالح تتنافى مع هذه الخلائق الذميمة والتى هى شر محض لا خير فيها ، والمسلم قريب من الخير بعيد عن الشر .

ولخلق الغش الذميم حقائق نبينها فيما يلى :

١ - أن يزين المرء لأخيه القبيح ، أو الشر أو الفساد ليقع فيها .

٢ - أن يريه ظاهر الشئ ، الطيب الصالح ، ويخفى عليه باطنه الخبيث الفاسد .

٣ - أن يظهر له خلاف ما يضمره ، ويسره تغريرا به ، وخديعة له وغشا .

٤ - أن يعمد إلى إفساد ماله عليه ، أو زوجة أو ولده ، أو خادمه أو صديقه بالوقيعة فيه والنميمة .

٥ - أن يعاهد على حفظ نفس أو مال أو كتمان سر ثم يخونه ويغدر .

والمسلم فى تجنبه للغش والغدر والخيانة هو مطيع لله ورسوله إذ هذه الثلاثة محرمة بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، قال الله تعالى : ﴿**والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا**

وإثما مبينا﴾ [الأحزاب] ، وقال عز وجل : **﴿ومن نكث فإنما ينكث على نفسه﴾ [الفتح]** ، وقال سبحانه وتعالى : **﴿ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله﴾ [فاطر]** وقال رسول الله ﷺ : «من خبب - أفسد - زوجة امرئ، أو مملوكه - خادمه - فليس منا » (أبو داود باسناد جيد) ، وقال : «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كان فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا أؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر» (متفق عليه) ، وقال ﷺ وقد مر على صبرة - كيس كبير - طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا ، فقال : ما هذا يا صاحب الطعام ؟ قال : أصابته السماء - المطر - يا رسول الله، قال : «أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ؟ من غشنا فليس منا» (مسلم).

د - الرياء :

المسلم لا يرائى ، إذ الرياء نفاق وشرك ، والمسلم

مؤمن موحد فيتنافى مع إيمانه وتوحيده الرياء والنفاق ، فلا يكون المسلم بحال منافقا ولا مرائيا ، ويكفى المسلم فى بغض هذا الخلق الذميم والنفور منه أن يعلم أن الله ورسوله يكرهانه ويمقتان عليه ، إذ قال تعالى متوعدا المرائين بالعذاب والنكال : ﴿**فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراءون ويمنعون الماعون**﴾ وقال فيما رواه عنه رسول الله ﷺ : «من عمل عملا أشرك فيه غيرى فهو له كله وأنا منه برئ وأنا أغنى الأغنياء عن الشرك» (مسلم)، وقال ﷺ : «من راءى راءى الله به ومن سمّع سمّع الله به» (متفق عليه) ، وقال : «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال الرياء ، يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء»[١] .

(١) أحمد والطبرانى والبيهقى، وقال الزين العراقى رجاله ثقات .

أما حقيقة الرياء فهى إرادة العباد بطاعة المعبود عز وجل للحصول على الحظوة بينهم والمنزلة فى قلوبهم.

وللرياء مظاهر ، منها ما يلى :

١ - أن يزيد العبد فى الطاعة إذا مدح وأثنى عليه فيها، وأن ينقص منها أو يتركها إذا ذم عليها أو عيب فيها .

٢ - أن ينشط فى العبادة إذا كان مع الناس ويكسل عنها إذا كان وحده .

٣ - أن يتصدق بالصدقة ، لولا من يراه من الناس لما تصدق بها .

٤ - أن يقول ما يقوله من الحق والخير ، أو يعمل ما يعمله من الطاعات والمعروف وهو لا يريد الله بها وحده وإنما يريد غيره من الناس معه أو لا يريد الله مطلقا وإنما يريد الناس فقط .

هـ - العجب والغرور :

المسلم يحذر العجب[١] والغرور ، ويجتهد أن لا يكونا وصفا له فى حالة من الحالات إذ هما من أكبر العوائق عن الكمال ، ومن أعظم المهالك فى الحال والمآل .فكم من نعمة انقلبت بهما نقمة ، وكم من عز صيراه ذلا ، وكم من قوة أحالاها ضعفا . فكفى بهما داء عضالا وكفى بها على صاحبهما وبالا ، فلذا حذرهما المسلم وخافهما ، ولهذا جاء الكتاب والسنة والتنفير منهما ، قال الله تعالى : **وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور﴾ [الحديد]** ، وقال : **﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم﴾ [الانفطار]** ، وقال : **﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلن تغن عنكم شيئاً﴾ [التوبة]** ، وقال رسول الله ﷺ : «ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه» (الطبرانى وغيره وهو ضعيف)، وقال : «إذا

---

(١) الزهو والكبر يسبب الإعجاب بالنفس أو العمل .

رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ، وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بنفسك» (أبو داود والترمذى وحسنه) ، وقال : «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والأحمق من اتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأمانى» (البخارى).

مثلات لذلك :

١ - أعجب إبليس لعنه الله عليه بحاله ، واغتر بنفسه وأصله فقال : خلقتنى من نار وخلقته من طين ؟ فطرده الله من رحمته ، ومن أنس حضرة قدسه .

٢ - أعجبت عاد بقوتها واغترت بسلطانها وقالوا: من أشد منا قوة ؟ فأذاقهم الله عذاب الخزى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة .

٣ - غفل نبى الله سليمان عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام فقال : لأطوفن الليلة على مائة امرأة تلد كل امرأة ولدا يجاهد فى سبيل الله ، غفل فلم يقل إن شاء الله فحرمه الله سبحانه لذلك الولد .

٤ - أعجب أصحاب رسول الله ﷺ فى حنين بكثرتهم وقالوا : لن تغلب اليوم من قلة ! فأصيبوا بهزيمة مريرة ، حتى ضاقت عليهم بما رحبت، ثم ولوا مدبرين .

ومن مظاهر الغرور ما يلى:

١ - فى العلم : قد يعجب المرء بعمله ، ويغتر بكثره معارفه فيحمله ذلك على عدم الاستزادة ، وعلى ترك الاستفادة ، أو يحمله على احتقار غيره من أهل العلم واستصغار سواه ، وكفى بهذا هلاكا له ! .

٢ - فى المال : قد يعجب المرء بوفرة ماله ، ويغتر بكثرة عرضه فيبذر ويسرف ، ويتعالى على الخلق ويغمط لحق فيهلك.

٣ - فى القوة : قد يعجب المرء بقوته ويغتر بعزة سلطانه فيعتدى ويظلم ، ويقامر ويخاطر ، فيكون فى ذلك هلاكه ووباله .

٤ - فى الشرف : قد يعجب المرء بشرفه ويغتر بنسبه وأصله فيقعد عن اكتساب المعالى ، ويضعف عن طلب الكمالات فيبطئ به عمله ، ولم يسرع به نسبه ، فيحقر ويصغر ، ويذل ويهون .

٥ - فى العبادة : قد يعجب المرء بعمله ، ويغتر بكثرة طاعته ، فيحمله ذلك على الادلال على ربه، والامتنان على منعه ، فيحبط عمله ، ويهلك بعجبه ، ويشقى باغتراره.

علاج:

وعلاج هذا الداء فى ذكر الله تعالى بالعلم بأن ما أعطاه الله اليوم من علم ، أو مال أو قوة أو عزة ، أو شرف قد يسلبه غدا لو شاء ذلك ، وأن طاعة العبد للرب مهما كثرت لا تساوى بعض ما أنعم الله على عبده ، وأن الله تعالى لا يدل عليه بشئ ، إذ هو مصدر كل فضل ، وواهب كل خير ، وأن الرسول ﷺ يقول : «لن ينجى أحداً منكم عمله ، قالوا :

ولا أنت يارسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته» (البخارى).

و - العجز والكسل :

المسلم لا يعجز ولا يكسل ، بل يحزم وينشط ، ويعمل ويحرص ، إذ العجز والكسل خلقان ذميمان منهما رسول الله ﷺ فكثيرا ما كان يقول : «اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والهرم والبخل» (متفق عليه) . وأوصى ﷺ بالعمل والحرص فقال : «إحرص على ما ينفعك ، واستعذ بالله ولا تعجز ، وإذا أصابك شئ فلا تقل لو أنى فعلت كذا لكان كذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان» (مسلم).

فلهذا لا يرى المسلم عاجزا ولا كسولا ، كما لايرى جبانا ولا بخيلا وكيف يقعد عن العمل ، أو ينترك الحرص على ما ينفعه ، وهو يؤمن بنظام الأسباب ، وقانون السنن فى الكون ؟ ولم يكسل

المسلم هو يؤمن بدعوة الله إلى المسابقة فى قوله : ﴿**سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض**﴾ ، ويأمره بالمنافسة فى قوله : ﴿**وفى ذلك فليتنافس المتنافسون**﴾ **[الحديد]** .

ولِمَ يجبنُ المسلم أو يحجم ، وقد أيقن بالقضاء ، وآمن بالقدر ، وعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه بحال من الأحوال ؟ ولم يقعد المسلم عن العمل النافع وهو يسمع هاتف القرآن به : ﴿**وما تفعلوا من خير فلن تكفرونه ، وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ، هو خيرا وأعظم أجراً**﴾ ؟

مظاهر العجز والكسل :

١ - أن يسمع المرء نداء المؤذن للصلاة ويتشاغل عن الإجابة بنوم أو كلام أو عمل غير ضرورى حتى يكاد يخرج وقت الصلاة ثم يقوم فيصلى منفرداً فى آخر وقت الصلاة .

٢ - أن يقضى المرء الساعة والساعات على مقاعد المقاهى وكراسى المنتزهات أو متجولا فى الشوارع والأسواق ولديه أعمال تتطلب الإنجاز فلا ينجزها .

٣ - أن يترك المرء العمل النافع كتعلم العلم أو غراسة الأراضى أو عمارة المنازل وبناء الدور ، وما إلى ذلك من الأعمال النافعة فى الدنيا أو الآخرة يتركها بدعوى أنه كبير السن ، أو أنه غير أهل لهذا العمل ، أو أن هذا العمل ، يتطلب وقتا واسعا وزمنا طويلا ويترك الأيام تمر والأعوام تمضى ، ولا يعمل عملا ينتفع به فى دنياه أو أخراه .

٤ - أن يعرض له باب من أبواب البر والخير كفرصة حج ، وهو قادر عليه فلم يحج ، أو كوجود لهفان ، وهو قادر على إغاثته فلم يغثه ، أو كفرصة دخول شهر رمضان فلم يغتنم لياليه بالقيام ، أو كوجود أبوين عاجزين ، أو أحدهما وهو قادر على برهما وصلتهما والإحسان إليهما ولم يحسن إليهما

عجزاً وكسلا أو شحا وبخلا ، أو عقوقا ، والعياذ بالله .

٥ - أن يقيم المرء بدار ذل أو هوان ، ولم يطلب له عجزا أو كسلا دار أخرى يحفظ فيها دينه ويصون فيها شرفه وكرامته.

اللهم إنا نعوذ بك من العجز والكسل ، ونعوذ بك من الجبن والبخل ، ونعوذ بك من كل خلقٍ لا يرضى، وعمل لا ينفع ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

إصدارات المؤلف

١ - عجائب الكلام .

٢ - عودة إلى طب الأعشاب .

٣ - حقائق الإسراء والمعراج .

٤ - الأخبار الدقيقة فى بدء الخليقة .

٥ - عجائب خلق الملائكة .

٦ - مخلوقات عجيبة .

٧ - موعظة الموت .

٨ - خصال وأعمال يحبها الله ورسوله .

٩ - قدرة الله فى خلق الجن .

١٠ - قدرة الله فى خلق الملائكة .

١١ - التحذير من الكبائر .

١٢ - كيف تكلم الموتى .

١٣ - أخبار يأجوج ومأجوج .

تحت الطبع :

١ - عالم الحيوان فى العلم والسنة والقرآن .

٢ - حقيقة الصوفية .

٣ - تراجم الأقدمين والمحدثين .

٤ - ٦٥ قصة من أخبار الفصحاء والظرفاء .

الفهرس

الفهرس